SIBAWAYH Arabic Language and Education Volume 6 Issue 1 2025
eISSN 2716-5515 (1-23)

الزمن في شعر أبي العتاهية دراسة موضوعية (أحوال الدهر نموذجاً)

Time in The Poetry of Abū Al-ʿatāhiyah: An Objective Study
(With the Conditions of Time as A Model)

Maryam Abdelnabi Abdelmajeed*
Basra and Arab Gulf Studies Center, University of Basra, Iraq
*Corresponding author: rakotaje@yahoo.com

Received: 27 Sep 2024, **Revised:** 7 Apr 2025, **Accepted:** 21 Apr 2025, **Published:** 30 Jun 2025

To cite this article (APA): Abdelmajeed, M. A. . (2025). الزمن في شعر أبي العتاهية دراسة موضوعية)أحوال الدهر نموذجاً(: Time in The Poetry of Abū Al-ʿatāhiyah: An Objective Study(With the Conditions of Time as A Model). *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *6*(1), 1-23. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol6.1.1.2025

Link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol6.1.1.2025

الملخص

جاء تعبير الشاعر أبي العتاهية عن الدهر في ديوانه عبر بيان أفعاله، وأحواله، وتجلياتها على بني البشر، باستعماله: لأسلوب التضاد، أو الاستفهام، أو التوكيد، أو الأمر، بالتجاور مع العديد من المفاهيم الدالة على: الشدة والرخاء، والتقلب، والموت، والتصاريف، والوعد والوعيد، والريب، فضلاً عن الغرور، والفرقة، والعثار، والمكر، والخديعة؛ للدلالة على مظاهره، وصعابه، ومصائبه، وما يتداعى منها، بوصفها سمات أزلية لكينونة الدهر حتى قيام الساعة.

الكلمات المفتاحية: شعر أبي العتاهية، الزمن في الشعر، أحوال الدهر

Abstract

The poet Abu Al-Atahiya's expression of eternity in his collection of poems came through an explanation of its actions, its conditions، and its manifestations on human beings، using it: the style of opposition, interrogation, emphasis or command in juxtaposition with many concepts indicating distress, prosperity, fluctuation, death and expenses. Promise, intimidation and doubt as well as vanity, division, stumbling, deception and deception. To indicate its manifestations, difficulties, calamities and what results from them, as they are eternal features of the being of eternity until the Hour of Judgment.

Keywords: Abu Al-Atahiya's poetry, time in poetry, conditions of time

المقدمة

ضم ديوان أبي العتاهية كثيراً من المفاهيم التي تعبر عن فكره، وصلاته، ونظرته للعالم من حوله، وقد كشف الشاعر في ديوانه عن مظاهر العلاقة بين الإنسان وخالقه، وما تحتويه من أفكار، وأُسس، يستلها من المفاهيم الإسلامية؛ ليصف دلالات تتجلى فيها القيم التي تُعبر عن الدين الإسلامي، وما ورد عن الأثر النبوي الشريف، وقد كان البعد الموضوعي الذي ضمه ديوانه يصور هذا الاتجاه بدقة، كما يعبر عن إيديولوجية الشاعر، ويكشف آلامه، ووعيه وثقافته الكبيرة.

ومن خلال استقرائنا للديوان وجدنا مهيمنة كبيرة لثيمة الزمن، وتجلياته، لذلك اخترنا بحثها؛ لأن موضوعة الزمن لم تحظَ بدراسة وافية، تكشف ملامحها، وتجلياتها، وأبعادها العاطفية، والفكرية، وما يتداعى منها، وما تضمه من أحاسيس، ورؤى، في نسقها الموضوعي في ديوان الشاعر، واخترنا منهج النقد الموضوعي في دراستنا؛ من أجل الكشف عن الملامح الموضوعية التي عبر الشاعر عنها باستعماله للزمن، وما يضمه، وما يشف عنه من مفاهيم، و آفاق، وما يكشفه من تجارب.

أما الدهر فيعني في لغة العرب: الزمان الطويل، أو فترة الحياة الدنيا جميعها، أو العادة، أو الغاية، أو الهمة، والإرادة، وقد اخترنا ثيمة الدهر نموذجاً لدراسة الزمن في شعر أبي العتاهية؛ ذلك لأن الدهر قد تجلى بمهيمنة واضحة في شعر الشاعر، تجلت فيه أبعاد الزمن بمختلف اتجاهاته وتنوعها، عبر الآتي:

الشدّة والرخاء

الشِّدة مصدر: شَدَّ يَشِدُّ شَدَّاً، وهي الحال الذي يصعب تحمله، وكذلك هي شظف العيش وضيقه، والوطأة الشديدة (ابن منظور، ٢٠١٦). أما الرخاء وهو مصدر رَخا يرخُو أرخُ رخاءً ورخاوةً: فهو حسن الحال، وطيب العيش، وسعته (ابن منظور، ٢٠١٦)، وقد تكرر القول بالشدة والرخاء بالتعالق مع الدهر للدلالة على الشدائد والصعاب والمصائب، بالتضاد مع هناء العيش ورغد الحياة في الشعر العربي منذ الجاهلية، أما الشاعر أبي العتاهية فقد عبر عن الدهر وتجليه في الشدة والرخاء بوساطة فعله، وما يثيره من تداعيات على البشر، محيلا على اختلاف وتناقض حالاته، والتضاد المتجلي في سيرورته، ونكباته، مع استجلاء المعنى الباطني للشدة والرخاء وتجلي الدهر بهما عبر مسيرته الدائبة، واستمراره في الأخذ والعطاء بين بني البشر، عبر نصوص تستكنه حقيقة الدهر، مع إيراد مواعظ تهدف لإنتاج الإنسان النموذج كما أراده الله تعالى، ((وما ذلك إلّا لأنّ الشاعر العربي يريد أن يتمثّل في ذاته النموذج الكامل للإنسان الجمالي، والبطل الحضاري المعلّم والمربّي. إنّه يلتزم بالقيمة التي تعلو به ليلتزم بها غيره أيضاً. وهكذا تحوّلت

القيم الأخلاقية من حيث هي جمال إلى وجــود ماهوي، يحدّد أهمية الآنية الشعرية ويضبط مسارها من الداخل، وينمّيها فعلاً في واقعها)) (الجهاد، ٢٠٠٧)، وقد كشف الشاعر في إطار الشدة والرخاء عن معان ودلالات متعددة وصف بها الدهر وتأثيره على الذات الإنسانية، منها في قوله محيلا على اختلاف حالاته في البؤس والشدة، بوصفهما قيمة متحررة من ذلك الاختلاف، بالتجاور مع دوال تكشف عما ينتجه هذا الاختلاف من مظاهر، عبَّر باستلهامها عن تجليات الزمن ومسيرته وأثره على الأحياء، مستشفا القول بالبؤس والشدة والسرور والرخاء، التي شكلت مجموعة الصفات العليا المنسلة من مسيرته، مع استعمال الفعل شتت وكدر المسندين للدهر:

وما الدهر يوما واحدا في اختلافه؛ وما كل أيام الفتى بسواءِ
وما هو إلا يوم بؤس وشدة ويوم سرور، مرة ورخاءِ
وما كل ما لم أرج أحرم نفعه؛ وما كل ما أرجوه أهل رجاءِ
أيا عجبا للدهر لا بل لريبه، يُخرم ريب الدهر كل إخاءِ
وشتت ريب الدهر كل جماعة وكدر ريب الدهر كل صفاءِ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

كما عبّر أبو العتاهية عن المسرة والمكروه باستعماله للفعل يكسو المسند للمتكلم؛ لوصف ذلك التضاد المتجلي في سيرورة الدهر وأحواله المتناقضة، بالتوازي مع الفعل جرى المسند للدهر، حيث تعاضد الفعلان على بيان أهم الدلالات المحيلة على تلك القيمة المتضادة، في قوله:

لم يكسني الدهر يوما من مسرته، إلاّ جرى منه مكروه بتجريد

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

كما استعمل الفعلين يصفو ويكدر المسندين للدهر للدلالة على مفهوم التضاد في فعله في الأحياء، إذ تمتلك معاني التعريف به؛ لتعضيد خطاب النص الذي يهدف للتمييز والتعريف بسطوته المفتوحة على الناس كلهم أجمعين، عبر خطاب موجه يكتنف الآتي بقوله: وما كل ما لم يأت، ثم الاستثناء بقوله: إلا كما مضى، ليحتوي تمثيلات تكشف وتسلط الضوء على تلك البؤرة التي تكتنف ذلك المجلى من الزمن، بقوله:

وما كل ما لم يأتِ، إلا كما مضى من اللهو في اللذات، إن كنت تذكرُ

وما هي إلا ترحة بعد فرحةٍ، كذلك شرب الدهر يصفو ويكدرُ
-كأن الفتى المغتر لم يدر أنه تروح عليه الحادثات، وتبكرُ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وفي نص آخر يستعمل الشاعر الفعل ينبغي ورأى المسندين لمفردة امرئ الدالة على الشمول بمجيئها نكرة، للإحالة على نكبات الدهر وهو السنن الكوني في الحياة، ولذلك، تضمّن بالموازاة مع تلك الدلالة للدهر متمركزا آخر وهو ما يذوقه المرء في حياته مع الدهر من الصفاء والكدر، قال:

قد ينبغي لامرئ رأى نكبا ت الدهر، ألا ينام من حذرهْ
بقدر ما ذاق ذائق لصفا ء العيش يوما يذوق من كدرهْ
-كم من عظيم مستودع جدثا قد أوقرته الأكف من مدرهْ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويضم القول بالنفي بليس والاستدراك بالضيق والاتساع عبر الفعلين ضاق واتسع على المعنى الباطني للشدة والرخاء، حيث يتجلى بهما الدهر بمسيرته، فهما قوة فاعلة لدالته، وقد أوردها مضافة للدهر والفتى بوصفهما محتوى لمسيرته وفعله في الكون تعرف به، وتؤكده، قال:

ليس كل الدهر يوما واحدا، ربما ضاق الفتى ثم اتسعْ
خذ من الدنيا الذي درَّت به، واسلُ عما بان منها، وانقطعْ
-إنما الدنيا متاع زائلٌ، فاقتصد فيه، وخذ منه ودعْ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وورد القول بشهوات المرء وغفلته حيث خصوصية المعنى قصرت عليه أولا، ثم انفتحت على الدهر كقيمة مصاحبة بالإحالة على الفعلين يخفض ويرفع مسندين إليه، فامتلك البيت الكثافة الدلالية التي تضم رزوح أغلبية الناس في شهوات الغفلة، واستمرار الدهر في الأخذ والعطاء، وبهذا فإن الشاعر يحكم بناءه الفني إذ يضع محددات تضم دلالاته المنتقاة ببلاغة عالية، قال:

والمرء في شهوات غفلته، والدهر يخفضه، ويرفعهُ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

فكان تعبير الشاعر عن هذا الجانب متعالقا مع خصوصية تغلغله في الحياة، وتجليه بمدى فعله، وما يضمه من تداعيات على بني البشر، واختلاف أحواله وتناقضها، مع التعريف بسطوته وما يثيره من نكبات هي محتوى مسيرته وآثاره في الأخذ والعطاء.

التقلُّب

تَقَلَّبَ يَتَقَلَّب تَقَلُّباً فهو مُتَقلِب، وتقلُب الشئ: تحوّله من حالة لأخرى (ابن منظور، ٢٠١٦)، ورد هذا المفهوم للدهر في شعر أبي العتاهية عبر دلالات مبتكرة، عبّر عنها باستعماله للاستفهام الإنكاري، أو مفهوم الديمومة، أو التضاد، أو السرعة؛ ليكشف عن قيم تحتوي على مادة للارتقاء بالنفس الإنسانية، والأخلاق العليا، للوصول إلى حرية الذات من الآثام ونقائها، فـ((الإنسان إنما يعتقد في نفسه أنه حرّ حينما يكون لديه شعور واضح ببواعث أفعاله)) (إبراهيم، ١٩٧١)، وقد جاء القول بتقلب الدهر بالتعالق مع الابتلاء؛ ليكشف الشاعر عن حقيقته وتجليه على بني البشر، سواء أكان شموليا عبر أحواله المختلفة، أو عبر الجزيئات التي تؤثر على كل فرد على حدة، وما يفيدنا في ذلك إشارته لمعرفة ذلك التقلب الذي يلتزمه الدهر لجوانب الحياة اليومية للبشر، ولاسيما التي تتعلق بتجارب الحياة وما يتبعها من مسيرة الزمن والحقب، وما تضمه من أحوال، حيث هي مظهر أساس يتجلى على جميع البشر؛ ليبرز في هذا المدى خطاب النص الذي يتخلله القول والانثناء لذلك الواقع الأزلي المفروض على الناس، لكي يسعى لإيجاد السلوك الأمثل، والرضى بقضاء الله لتجاوز محن الحياة التي هي مجلى لتقلب الدهر، قال:

من لم يعظه التجريبُ والأدب، لم يثنه شيبه ولا الحقبُ
يا أيها المبتلى بهمته، ألم ترَ الدهر كيف ينقلبُ
من أي خلق الإله يعجب من يعجبُ، والخلق كله عجبُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

بينما يحيل الشاعر على العمر وزيادته، وقرب الموت وسرعة الأيام، بالتزامن مع عدم القدرة على إحصاء تقلبات الدهر في كل طرفة عين، لتبدو دلالالته في هذا الإطار في مدى الوعظ مؤثرة لأنه وشحها بمفهوم قرب الأجل وحتميته، فهو يستوحي في تجلي هذا المدى الأزمة الأزلية للقدر، الذي لا مفر منه، فجاءت معانيه سعيا للتغلب عليه، واستثماره للدخول لحياة أخرى بعيدة كل البعد عن الكدر، قال:

ما زادك السن من مثقال خردلة إلا تقرب منك الموت تقريبهْ

فما بقاؤك، والأيام مسرعة، تصعيدة منك أحيانا، وتصويبهْ
وإن للدهر، لو يحصى تقلبه، في كل طرفة عين منك تقليبهْ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويشير الشاعر بالقول بتلون الدهر لتقلبه، فتلك الألوان التي يتجلى بها تروح وتغتدي، وهذا الشعور بتقلب الدهر المستمر منذ الأزل يضم في طياته النفوس التي تسيل وتذهب لمنزل الحق، حيث يكتف الشاعر دلالته التي تحمل فكرة المؤدى الأساس، والقوي الثابت الذي يدعو إلى عدم الرزوح لمصائب الدهر، وتقلباته، والتطلع لما بعد الحياة حيث الأزل إلى نعيم أو جحيم، فجاء النص مؤطرا بهذا المعنى، قال:

وللدهر ألوان تروح وتغتذي، وإن نفوسا، بينهن، تسيلُ
ومنزل حق، لا معرج دونه، لكل امرئ يوما إليه رحيلُ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

كما اتخذ الشاعر القول بدوائر الدهر للدلالة على تقلبه، وقد عبر في هذا الإطار عن تلك الثيمة التي يمارسها الدهر، حيث مبعث الاختلاف والتضاد في النفوس، لينتج الدهر عبر ذلك التضاد في سيرة البشر مرارة المصائب والنكبات التي تعكر صفو الحياة، قال:

الخلق مختلف جواهره، ولقل ماتزكو سرائرهُ
ولقل ما تصفو طبائعه، ويصح باطنه وظاهرهُ
الناس، في الدنيا، ذوو ثقة، والدهر مسرعة دوائرهُ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وبذلك فقد ورد مفهوم تقلب الدهر في ديوان الشاعر بالتعالق مع القول بالابتلاء، أو قرب الموت وسرعة الأيام، أو تلون الدهر، أو دوائره؛ للدلالة على حقيقته، ومظاهر تجليه على البشر، عبر أحواله المختلفة التي تؤثر على كل فرد على حدة.

الموت

المَوْت والمَوَتانُ ضد الحياة، والمَوْت: السُّكُون، وكل ما سَكَنَ فقد مَاتَ (ابن منظور، ٢٠١٦)، وفي جانب الموت أظهر الشاعر حركة الدهر في مسار يستحضر الموت منبها للتهيؤ له، كما بين مداه الذي يضم البشر على اختلاف مكانتهم، مع إيراد المفردات الدالة ومنها الثكل، أو القول بتنقل الأيام وتزامنه مع الموت، أو استحضار الصيرورة، والغرور، وعدم البقاء، وطمع العيش، والقبور؛ للتعبير عن عمق تجلي الدهر، ووظيفته، وعلامات تجسده، وما يضمه من شراسة تستدعي الفرقة، والزوال، والخطوب، والفناء، فضلا عن إيراده للمظاهر التي يحرص عليها البشر وتبرز للتعريف بغفلتهم، وتسلّط الدنيا عليهم، بالتجاور مع كشفه لحقيقة المآل، واستثماره لعدد من المفردات للتعبير عن إحالة الدهر للأحياء على الموت حيث صفته وسلوكه، كما تبنى إيراد عدد من الأفعال التي تكشف أهوال المصير المؤدي للموت، بوصفها علامات عليه، فضلا عن ذكره لتجليه في أقسام الزمن المتعاقبة: الماضي، والآن، والمستقبل؛ للتذكير بما خُص به بمختلف مظاهره.

فكشف الشاعر باستعماله لهذه الثيمة بإحالتها على الدهر عن سمات تثبت المكانة الحرجة التي يمتلكها في الكون، حيث تبدت في تحركه ضمن مسار يرافق البشرية، ويتقدم باستحضاره لمدى آخر يجب التهيؤ له، وذلك على حسب السيرة الإنسانية التي يحياها كل إنسان على حدة، ((ولما كانت كتابة الشعر هي نوع من العمل، أو من الشغل على .. ولما كانت هي أيضا عملية استكشاف وكشف، فإن الحقائق التي يجب أن تقال، هي حقائق من نوع خاص)) (الحاج، ١٩٩٩)، قال:

يا ساكن الدنيا أمنت زوالها، ولقد ترى الأيام دائرة الرحى
ولكم أباد الدهر من متحصن في رأس أرعن، شاهق، صعب الذرى
أين الألى شادوا الحصون، وجندوا فيها الجنود، تعززا، أين الألى؟
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

إن هذه الثيمة التي يحيلها الشاعر للدهر ترد مع جزيئات دالة بلوعة تجليها، حيث احتوت في نصه بوصفها مصدرا للنداء، ومنه القول بصائح الموت، فهو إفصاح عن عمق تجليه، حيث يعطي دليلا عن مداه الواضح الذي يتغلغل في النفوس البشرية، مهما كانت مكانتها أو وضاعتها إذ هو مذاق لابد للنفس الإنسانية من تجربته، فيقول:

كم رأينا من عزيز طويت عنه الكشوح

صاح منه برحيل صائح الدهر، الصدوح
موت بعض الناس، في الأرض، على البعض فتوح
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

كما ورد ذكر الدهر مع الإحالة على جانب الموت بالقول بالثكل:

لكم فجع الدهر من والد؛ وكم أثكل الدهر من والدهْ
وكم ترك الدهر من سيد، ينوء على قدم واحدهْ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وعبر الشاعر بالقول بالموت وتجليه كمظهر من مظاهر سيرورة الدهر عن حركة تنقل الأيام، وتزامن هذا التنقل مع موت بعضه؛ ليكشف عبر هذا المدى عن شاهد يضم وعيه، وقد جاء ذكره متجاورا مع مظاهر تكتنف الدهر لتضم تجلياته الحتمية، قال:

يا إيها ذا الذي ستنقله الـ ـأيام عن أهله، وعن ولدهْ
إن مع الدهر، فاعلمن غدا، وانظر بما ينقضي مجئ غدهْ
ما ارتد طرف امرئ بلحظته، إلا وشئ يموت من جسدهْ

كما ضم قول الشاعر بالدهر وتوازيه مع الموت وأبعاده استحضار الصيرورة، والغرور، وعدم البقاء، وطمع العيش، والقبور، مع حادث الدهر، والمالك، والقدير، التي استلهم بعدها الموضوعي للتصريح عن مظاهر الدهر المتجلية بالموت الحتمي لكل حيّ، قال:

كل حي إلى الممات يصير، كل حي، من عيشه مغرورُ
لا صغير يبقى على حادث الدهـ ـر، ولا يبقى مالك وقديرُ
-كيف نرجو الخلود أو نطمعُ العيـ ـش، وأبيات سالفينا القبورُ

وعبر بالقول بالفعل يفني ونفي الفعل يبقى بليس المسندين للدهر عن مدى يكشف عمق تجليه، ووظيفته التي تملكت مسارها بين معاشر البشر جيلا بعد جيل، قال:

ليت شعري! أي شئ، بعد شئ منه أنظرْ
قد رأينا الدهر يفني معشرا من بعد معشرْ
ليس يبقى ذو يسار، لا ولا من كان مُعسر

واستعمل الشاعر مفردة الرحيل مكررة للدلالة على حتمية وقوع الموت، بوصفه مظهرا من مظاهر الدهر وشدة سطوته، مع ذكر الخطب الجليل، والعويل، والقتيل، فهذه علامات تُجسد تجليه، وتُعرف بما يضمه من شراسة، حيث يبث الشاعر دلالاتها التي تجهر عن هذا الركن المتواتر في سيرة الدهر، قال:

تزودنَ للموت زاداً، فقد نادى مناديه: الرحيلَ، الرحيلْ
أغتر بالدهر، على أن لي في كل يوم منه خطبا جليل
يا خاطب الدنيا إلى نفسها، إن لها، في كل يوم، عويل
ما أقتل الدنيا لأزواجها، تعدهم غدا قتيلاً، قتيل

بينما تعالق القول بالوعد مع بنية الزمن: الدهر، ليتجلى بوصفه دالة على تحولاته التي ترد مع مفاهيم تشير لعلاقات تترابط مع تمثيله، حيث الفرقة، والزوال، والخطوب التي تضرب الامثال فيما ينتج في سيرورته من أبعاد كلها تحيل للفناء، قال:

الدهر يوعد فرقة وزوالا، وخطوبه لك تضرب الأمثالا
يا رب عيش كان يغبط أهله بنعيمه، قد قيل كان، فزالا

الفعل يبيد أيضا ورد في شعر الشاعر للتعبير عن فعل الدهر، وإحالته الأحياء للموت بالتجاور مع ذكر الأفعال: بنى، وشيد، وأطال، التي تضمنت المظاهر التي يحرص عليها بنو البشر، وتبرز للتعريف عن الغفلة وتسلّط حب الدنيا والتزايد منها على الأحياء، مع إيراد حقيقة المآل التي تشفّ في شعره عن إدراك لمتواليات المعيشة، والتنبّيه للموت، وهو سمة النهاية لسيرورة الدهر، قال:

ولقد رأيت من استطاع بجمعه، وبنى، فشيد قصره وأطالا
ولقد رأيت الدهر كيف يبيدهم شيبا، وكيف يبيدهم أطفالا
ولقد رأيت الموت يسرع فيهم حقا، يمينا، مرة، وشمالا

كما استثمر الشاعر مفردات: الخلق، والشقاء، والنوم، والحمام؛ للتعبير عن فعل الدهر بالأحياء، حيث الموت بصفته المتبنية للمفهوم الدال على سلوك الدهر ووصفه، قال:

لعظيمٍ، من الأمور، خلقنا، غير أنا، مع الشقاء، ننامُ
كل يوم يحيط آجالنا الدهـ ـر، ويدنو، إلى النفوس، الحمامُ
لا نبالي، ولا نراه غراماً، ذا، لعمري، لو اتعظنا الغرامُ

كما يعرف الشاعر في هذا البعد بتجليات الدهر وأثره على الأحياء، وصلات البشر المتلاحمة مع مرور الزمن، مع مقاربة مع المدى الذي يحتفون به متناســـين المآل الحتمي الذي يفرق، وهو الموت الذي لا يفر منه إنسان، وقد اعتمد على إيراد أفعال مثيرة للمتلقي تكشف أهوال هذا المصير، مع القول بـــ: الأجداث: وشحط النوى، ويوم الوفاة، ورحى دائرة الموت، وهي من العلامات التي قدم الشاعر بها فكرته، وقد أظهرها باســتخدامه للنفي: لا ترى. والتضــاد: قريب الدار/ شــحطت نواه؛ لتعريف المتلقي بالمفاهيم المفاضة مما يضمره الدهر للآتي؛ إذ يتمثل بهذا الاستدعاء بعداً وعظة للآخر، بقوله:

كم من أخ لك لا ترى متصرفا، فيما تراهْ
أمسى قريب الدار في الـ ـأجداث قد شحطت نواهْ
قد كان مغترا بيو م وفاته، حتى أتاهْ
الناس في غفلاتهم، والموت دائرة رحاهْ

ولم يرد الدهر والموت الذي يتجلى بسيرورته للآتي فحسب في قصائد الشاعر، بل لقد ذكر كذلك مظهره في أقسام الزمن المتعاقبة: الماضي والآن والمستقبل، حيث خُص به بمختلف مظاهره، في النص الآتي هو يستثمر القول باليوم الذي هو كينونة ظاهرة للدهر؛ للإشارة لذلك المدى المتعاقب، فما الدهر إلا يوم أنت فيه أو يوم ترجوه أو ما مضى، قال:

كم من أبٍ وأبي أب تحت أطـ ـباق الثرى قد قيل كان فماتا
والدهر يوم أنت فيه، وآخر ترجوه، أو يوم مضى بك فاتا
هيهات إنك للخلود لمرتج، هيهات مما ترتجي هيهاتا

وبذلك فقد أظهر الشاعر حتمية استحضار الدهر للموت، ومداه الذي يأخذ البشر على اختلافهم، عبر المفردات الدالة: عدم البقاء، والقبور، وصائح الموت، والثكل، والشئ يموت، وحادث الدهر، ويفني، وليس يبقى، والرحيل، والخطب الجليل، والعويل، والقتيل، والفرقة، والزوال، والموت يسرع، ويبيد، والحمام،، والاجداث، ورحى الموت، وتحت أطباق الثرى، بوصفها علامات تجليه ومظاهر تسلطه على البشر.

تصريف الدهر

تصاريف الدهر: نوائبه، وتقلباته، ومصائبه (ابن منظور، ٢٠١٦)، وقد ضمت العديد من نصوص أبي العتاهية ذكر تصاريف الدهر؛ للتعبير عن إحساس الشاعر بشدته، وسطوته على البشر، ((وغالبا ما تشي مواقف الشاعر الوجداني بحقيقة الصراع المستعر بين عالمه الداخلي (الذاتي)، وإحساسه بالعالم الخارجي (الواقع/البيئة)، والذي يحاول أن يجد جسرا للتواصل معه من منطلق فهمه الخاص للحياة، وطبيعة العلاقات الإنسانية فيها)) (درواشة، ٢٠١٠)، وقد ورد هذا المفهوم في شعر الشاعر عبر القول بـ: القضاء، والعثرة، ومحاتلة المنايا، والغرور، والجهر عن حال الغفلة وغيرها من الدلالات؛ للتعبير عن تصاريف الدهر وصفته، وما يستدعيه من مفاهيم ومظاهر، وهذا المعنى ينطوي في شعره على وعي كبير لأحداث الزمان، ويشمل على ثيمات متنوعة منها: الحكمة، والوصف، وهذه المفاهيم تضمّ في مداها رؤى تأتلف مع القول بتصريف الدهر، وتتشكل في خطاب وعظي يرسله الشاعر ضمناً مع ذكر الدهر والمواقف التي ينطوي عليها في سيرورته، ومنه قوله:

لكل أمر جرى فيه القضا سببُ، والدهر فيه، وفي تصريفه، عجبُ
ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها، فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

في هذا النص يتبدى الدهر وتصريفه متعالقا مع القضاء، لأن القضاء هو المدى الذي يضم وروده، فكان هو الأساس الذي استثمره الشاعر للتعبير عن وقوعه، وقد وظف الشاعر ما يفتحه في جريانه من العجب، مع إيراد ما يجاور هذه السمة في الجانب السلوكي، وما يكتنفه من سلبيات حيث التقلب مع الدنيا ومع صاحبها. كما استخدم الشاعر الأفعال: نرى، ويرينا، ولا تأمنن، وعثر؛ للتنبيه لما يجلبه الدهر في مسيرته الأزلية حيث يضرب الأمثال، ويقيم العبر، ويجلب العثرات مجتمعة في صروفه المختلفة، قال:

ومن كان بالدهر ذا عزة، فإني من الدهر عندي خبرْ
نرى الدهر يضرب أمثاله لنا، ويرينا صروف العبرْ
فلا تأمنن له عثرة، فكم من كريم به قد عثرْ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وفي نص آخر يقول محيلا لصروف الدهر على مخاتلة المنايا، والغرور؛ للتعبير عما يتضمنه وما ينطوي عليه من مكر وخبث، وتبعا لذلك المدى هو ينسج سلوكه في الحياة على البشر:

حتى متى والمنايا لي مخاتلة، يغرني في صروف الدهر وسواسي
أين الملوك التي حفت مدائنها، دون المنايا، بحجّاب وحراس
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

واستثمر الشاعر في هذا المعنى أُسلوب النداء؛ للجهر عن حال الغفلة وصروف الدهر التي تضم في سيرورته من المساوئ التي تؤثر على البشر، بما فيها من مصارع ومخاوف، حيث يفتح في النص تصوراته وردود أفعاله نحو الحياة ومسيرة الزمن فيها، قال:

أيا نفس! أنت الدهر، في حال غفلة، وليست صروف الدهر غافلة عنكِ
أيا نفس! كم لي عنكِ من يوم صرعة، إلى الله أشكو ما أعالجه منكِ
أيا نفس! إن لم أبكِ مما أخافه عليك غدا عند الحساب فمن يبكي
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

كما استثمر الشاعر الأفعال: غرت، وتلاعبت، وينسى، وما تزال، وتقنصه؛ للتعبير عن غرور الدنيا بناسها، وتلاعبها، بهم بالتجاور مع الإحالة على صروف الدهر بصفته التي تؤسس على المعنى الكامن بالاحتلال والقنص، حيث يكشف السلوك القار فيه ووصفه، وقد استطاع الشاعر أن يسبر أعماق دفينة في هذه السيروة وبيان نزعاتها، إذ جعل شعره خطابا تحذيريا كاشفا لكثير من حقائق الكون وحركيتها، قال:

مسكين من غرت الدنيا بآماله، فكم تلاعبت الدنيا بأمثالهْ
ينسى الملحّ على الدنيا منيته بطول إدباره فيها، وإقبالهِ

وما تزال صروف الدهر تحتله، حتى تقنصه من جوف سربالهْ
ليس الليالي، ولا الأيام تاركة شيئا يدوم، من الدنيا، على حالهْ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويبين الشاعر بأن لتصريف الدهر فنونا تعود لأصول كينونته، وهذه الدالة هي مفهوم يصرح الشاعر به ويكشف عن كوامن سيرورة الدهر، التي تأخذ على سبيل التمثيل الشعري بالحتف الأكيد الحلاب الذي يدر اللقحة وهي لبون، فهو مبنى لوصف قائم على تضمينه لفكرة السلوك المتمثل ووصفه للمتلقي وتصويره ، بقوله:

ما كل ما تشتهي يكون، والدهر، تصريفه فنونُ
قد يعرض الحتف في حلاب، درّت به اللقحة اللبونُ
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويكرر الشاعر القول بهذه الصفة للدهر وتضادها مع الآمال، وللتكرار مهمة مؤثرة ومستفزة للفكر، بما تستدعيه من معاني التأكيد والإصرار على الدلالة المنتقاة، ولا سيما إن جاء هذا المعنى المكرر شعراً، قال:

وكم من ظنون للنفوس كثيرة، فكذبت الأحداث منها ظنونها
وإن العيون قد ترى، غير أنه، كأن القلوب لم تصدق عيونها
ألا رب آمال، إذا قيل قد دنت، رأيت صروف الدهر قد حلن دونها
(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

كما شملت قصائد الشاعر مفهوم الفناء في معرض التعريف بصفات الدهر وصروفه، ومنه القول بالمنازل الخالية. إذ يروم الشاعر تقديم رؤيته في بنية تلائم ذلك الحد، والإخبار عن السمات القيمية فيه، قال:

أين القرون الماضيهْ، تركوا المنازل خاليهْ
درجوا، فما أبقت صرو ف الدهر منهم باقيهْ
فلئن عقلت لتبكيـ ـنهُمُ بعين باكيهْ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وبذلك فقد نبه الشاعر لصروف الدهر عبر معان تثبت دورانه وتقلبه، وجعله يتحرك عبر مديات تلائم مسار المدّ الوعظي الذي يرافق شعره، مع استحضار القول بما يراد من البشر القيام به.

الوعد والوعيد

وَعَدَ فلانا: أنذره، وهدّده بالعقاب شرا، والوعيد مصدر وعَد يعِد وعْدا: فهو التهديد بالشر، والإنذار بالدمار (ابن منظور، ٢٠١٦)، وقد قدم الشاعر في ذكره للوعد والوعيد محالاً على الدهر رؤيته الخاصة عبر القول بسيرورة الدهر المستمرة؛ ليبين فيها ما يجتره وما يستثيره من نوائب بالتزامن مع معاني: البلى، والنقص، وكشف ما يمارسه عبر خطاب النص الذي يستجلي في فضائه الجانب التمثيلي الملتحم بالواقع، حيث يجهر بنكران من يأمن به مشخصا وواعظا، وكاشفا لما يتضمنه من الوعد والوعيد الذي بنيت عليه السلوكية المهيمنة للدهر في الحياة الدنيا في تجليه على بني البشر، ولما يتداعى منه؛ ليتمثل دالة الخطر والحذر الذي يجب على الفرد وعيه بوصفه السمة المفتوحة ضمناً على الدهر وما يتداعى منه، ((والشعر يحتاج إلى نفاذ في عمق الزمن وعمق الإنسان، يحتاج إلى سبر الأغوار، والسير في الأماكن المجهولة لاكتشاف الجديد، وهو يحتاج إلى الاختصار والتكثيف، يحتاج إلى لغة الصور واستخدام الرموز))، قال:

ومن يأمن الدهر في وعده وللدهر في كل وعد وعيدُ
أراك تؤمل، والشيب قد أتاك، بنعيك، منه بريدُ
وتنقص في كل تنفيسة، وأنت بظنك فيها تزيدُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ومن خلال استقرائنا لشعر الشاعر لاحظنا ورود القول بالوعد والوعيد وما يتضمنه في في فضاء نصوصه، مع الإشارة لسيرورة الدهر، وهذه دالة يبين فيها ما يجتره الزمن وما يستثيره في سيرورته الدائبة بالتزامن مع معاني: العُلات، والبلى، والنقص. ومنه قوله:

وللدهر علات تجلّي وتختفي، وللدهر وعد، مرة، ووعيدُ
ورب البلى إن الجديد إلى البلى، وإن الذي يبلي الجديد جديدُ
أراغك نقص منك لما وجدته، وما زلت في نقص، وأنت وليدُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وقال، محيلا على هذا البعد مستثمرا المجال النفسي وموظفا أبعاده المعنوية؛ لكشف ما يمر من الدهر ووعيده، وما يمارسه عبر خطاب يضم في فضائه الجانب التمثيلي الدلالي الذي يلتحم بالواقع، ويجهر بالغائية المنكرة لمن يأمن به، وما يبثه في الكون، وهذا التمثيل يحوي نقدا للذين يأمنون جانب الدهر ولا يعقلوا ما يذر في طياته من الغدر، قال:

لا يأمن الدهر إلا الخائن البطر، من ليس يعقل ما يأتي، وما يذرُ
لا يجهل الرشد من خاف الإله ومن أمسى، وهمته، في دينه، الفكرُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

فيصف الشاعر هذا الأفق المتجلي من الدهر وما يتبعه من أعراض، مشخصا وواعظا، يقول:

لا تأمن الدهر، والبس لكل حين لباسا
ليدفننا أناس كما دفنا أناسا

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

فجاء نص الشاعر ملتزما بكشف ما يفتحه سير الدهر من تداعيات في الكون، وورد فيه الوعد والوعيد كمضمر يتضمن النسق الذي يتردد في سيرورته الدائبة، حيث بنيت عليه السلوكية المهيمنة في الحياة الدنيا، بوصفها مادة جوهرية في تجليه على بني البشر، وله عدة دوال يتمثل فيها، قال:

والدهر دائبة عجا ئب صرفه، جم الفنونِ
لابد فيه لآمن الـ ـأيام من يوم خؤونِ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

فجاء القول بالوعد والوعيد للدهر وما يتضمنه بديوان الشاعر مع الإشارة لمعاني: العُلات، والبلى، والنقص، أو بالنقد للذين يأمنون جانبه ولا يعقلوا ما يخفي في طياته من الغدر، كما ورد الوعد والوعيد كمضمر يتضمن النسق الذي يتردد في سيرورة الزمن الدائبة، حيث بنيت عليه السلوكية المهيمنة له في الحياة الدنيا، بوصفها علة جوهرية في تجليه على بني البشر.

ريب الدهر

رِيَب الدهر: نوائبه وصروفه (ابن منظور، ٢٠١٦)، ويروم الشاعر باستعماله لمعنى ريب الدهر تنبيه المتلقي لهذا المفهوم المفاض من الدهر ومظاهره، المتجاورة مع مسارات الزمن منذ الأزل عبر أسلوب التوكيد، أو الأمر، أو الاستفهام، أو التضاد، أو مفهوم التعجب، أو الإحالة على بعض الأفعال الدالة، أو القول بالفراق، أو بالسلم والمراغمة، والفناء؛ بوصفها دالة مرجعية لفعله في البشر منذ فجر الخليقة، فالشاعر((يمتلك بصيرة ثاقبة تعي الأسباب ونتائج ما يحدث في مفاصل الحياة المختلفة، وعند ذاك لا يكون شعره في السطح، بل في الأعماق أعماق التجربة الشعرية)) (أبو العتاهية، ٢٠٠٣)، قال:

أيا عجبا للدهر لا بل لريبه؛ يخرم ريب الدهر كل إخاءِ
وشتت ريب الدهر كل جماعة وكدر ريب الدهر كل صفاء
إذا ما خليلي حلّ في برزخ البلى، فحسبي به نأيا وبعد لقاءِ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويستخدم الشاعر أُسلوب التوكيد لبيان ما يؤول إليه ريب الدهر وما يضمر في تجليه من الدنو والبعد، من فاعلية ومآل في الواقع الكوني وسننه، عبر خطاب النص الذي يضم وحدة إخبارية قائمة الذات، فيقول:

ألا إن صرف الدهر يدني، ويبعد، ويُمتع بالآلاف طورا، ويُنفدُ
أصابت بريب الدهر مني يدي يدي، فسلّمت بالأقدار، والله أحمدُ
أقول لريب الدهر: إن ذهبت يد فقد بقيتُ، والحمد لله، لي يدُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويبين الشاعر المفهوم الجوهري لريب الدهر الذي يكشف عن كينونته، ويحيل على واقع الفراق وما يضمه بين البشر من أحزان، وحسبك ما في هذا المدى من دلالات تحيل على الزمن، وما يحتويه من مفاجآت منذ الأزل، قال:

عليكم سلام الله! إني مودعُ، وعيناي، من مضّ التفرق، تدمعُ
فإن نحن عشنا يجمع الله بيننا، وإن نحن متنا، فالقيامة تجمعُ
ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمعُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وقال، مبينا المبنى السلوكي لكثير من أفراد المجتمع، وعلائقهم بالدنيا وطلبهم لها، حيث تأخذ نسقها متلاحما في التسابق مع ريب الدهر، وهذا هو الحد الواضح للضلال في طلب الغنى وتناسي المآل، وحسبنا ما تخفيه هذه الدالة من قيم منذرة:

ألا أيها القلب الكثير علائقهْ! ألم تر هذا الدهر تجري بوائقهْ
تسابق ريب الدهر في طلب الغنى، بأي جناح خلت إنك سابقهْ
رويدك لا تنس المقابر والبلى، وطعم حسى الموت الذي أنت ذائقهْ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويقول، محيلا على الأمر الذي أخذ بوساطته مهمة التحذير من والجهل والأيام ودائرات ريب الدهر، وفي ذلك يبين الشاعر المظاهر التي تتجلى في هذا المدى، ومفاهيمه، وما يضمه من سطوة تسيطر على الفرد، يقول:

خذ ما عرفت، ودع ما أنت جاهله، للأمر وجهان: معروف، ومجهولُ
واحذرْ، فلست من الأيام منفلتاً، حتى يغولك، من أيامك، الغولُ
والدائرات بريب الدهر دائرةٌ، والمرء عن نفسه ما عاش مختولُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويستثمر الشاعر التعجب؛ لبيان الأفق المفاهيمي المختلف بين بعدين متناقضين ونموهما، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكشف الفرق الحاد بين المعنيين وتأصيله، بالتجاور مع القول بريب الدهر وهي الحد المنتهي إليه، قال:

عجبا لأرباب العقولُ، والحرص في طلب الفضولُ
سلاب أكسية الأرا مل، واليتامى، والكهولُ
والجامعين، المكثريـ ـن من الخيانة، والغلولُ
والمؤثرين لدار رحـ ـلتهم على دار الحلولُ
وضعوا عقولهم من الـ ـدنيا بمدرجة السيولُ

ولهوا بأطراف الفرو ع، وأغفلوا علم الأصولُ
وتتبعوا جمع الحطا م وفارقوا سنن العقولُ
ولقد رأودا غيلان ريب الـ ـدهر غولا بعد غولُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

كما يكشف الشاعر في مضمار القول بريب الدهر ومظاهره ما يضمه من مصارع، ونضل، مستخدما أسلوب الاستفهام، والتضاد؛ للتعريف بما يحمله من تجليات على الأحياء، وما يوجده بينهم من تناء وفراق، قال:

لمن طلل أسائلهُ، معطلةٌ منازلهُ؟
غداة رأيته تنعى أعاليه أسافلهُ
وكنت أراه مأهولاً، ولكن باد آهلهُ
وكل لاعتساف الدهـ ـر معرضة مقاتلهُ
وما ممتلكٌ، إلا وريب الدهر شاملهُ
فيصرع من يصارعه، وينضل من يناضلهُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ويقول في ريب الدهر، وحسبك ما يضمره من مصائب، وما يضمه من ختل، مستثمرا الأفعال: أرى، ورمانا، ويخطي، وما فيها من معان للدلالة على ترصده وسيطرته، قال:

أخي! أرى للدهر نبلاً مصيبةً، إذا ما رمانا الدهر لم يُخطِ نبلُهُ
فلم أر مثل المرء في طول سهوه، ولا مثل ريب الدهر يؤمن ختلهُ
وحسبك ممن إن نوى الخير قاله، وإن قال خيرا لم يكذبه فعلهُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وبذلك فقد أورد الشاعر في تبيانه لريب الدهر تجلياته على البشر، وحوادثه وسطوته، إذ لاسلم إلا لمن يسالمه، فحوادث الدهر هي إطار يضم الإنسان مع قيم هي استجابة لسيرورته، وهي ليس لها قيمة إلاّ بالفعل الحقيقي، المتجلي في الواقع بمظاهره في الزمان، والمكان، حيث يؤثر ويتأثر بقانون الكون وحركة الزمن، يقول الشاعر:

والنفس ذات تخلق، وبها، عن نصحها، داء تكاتمهُ
وابن التمائم، من حوادث ريـ ـب الدهر، لا تغني تمائمهُ
والدهر يسلم من يكون له سلما، ويرغم من يراغمهُ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

لقد كان التشديد في استحضار القيم المنسلة من ريب الدهر ثيمة رصد فيها الشاعر الفعل المهيمن للزمن على الأحياء في قصائده، عامة؛ لإبرازه موقع وموقف الذات الإنسانية في فعله الذي يتكرر كونيا، فضلاً عن التعالق بين فعل البشر في زمن حياتهم الدنيا، الذي يمثل الفعل السلوكي والقيمي، والزمن الذي يمثله الدهر بسطوته عليهم، قال:

وما زالت الدنيا محل ترحلٍ، تجوس المنايا سهلها وحزونها
وقد كان للدنيا قرونٌ كثيرةٌ، ولكن ريب الدهر أفنى قرونها
وللناس آجال قصار ستنقضي، وللناس أرزاقٌ سيستكملونها

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

فبين الشاعر في هذا المدى ما يتداعى من ريب الدهر وما يمتلك من فاعلية بتجليه في الدنو والبعد، وما يستشرفه من مآل في الواقع الكوني، وكشف المفهوم السلوكي لريب الدهر وكينونته التي تحيل على واقع الفراق، وما يستثيره بين البشر من أحزان، بالتجاور مع التعريف بالمبنى السلوكي لكثير من البشر وعلائقهم بالدنيا، حيث التسابق مع ريب الدهر للتحذير من الجهل والأيام ودائراتها، كما يجهر الديوان بالمظاهر التي يضمها هذا المدى ومفاهيمه وسطوته؛ لكشف ما يحمله من تجليات على الأحياء، وما ينتجه بينهم من التنائي والفراق؛ للدلالة على ترصده الدائم، إذ لاسلم إلا لمن يسالمه، مع استحضار القيم المنسلة من ريب الدهر حيث رصد الشاعر الفعل المهيمن للزمن لإبراز موقع وموقف الذات الإنسانية في فعله الذي يتكرر باستمرار.

أخرى

شملت قصائد أبي العتاهية بالإحالة على أحوال الدهر موضوعات متعددة أخرى في أفق التعريف بصفاته، منها:

أ. **إنه يغرّ**

غّرّ فلانا: أي خدعه ومناه بالباطل (ابن منظور، ٢٠١٦)، وفي هذا المدى يسعى الشاعر لتقديم فكرته بإنتاج دلالة تلائم وضع الدهر وأحواله التي تغر بني البشر، وموقف البشر من هذه الأحوال، وذلك للإخبار عن الملامح القيمية لمرور الزمن، قال:

يا طالب الحكمة من أهلها! النور يجلو لون ظلمائهِ
والأصل يسقي أبدا، فرعه، وتثمر الأكمام من مائهِ
من حسد الناس على مالهم، تحمل الهم بأعبائهِ
والدهر رواغ بأبنائه، يغرهم منه بحلوائهِ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ب. يُفرق

فَرَق يفرُق ويفرِق بين الشيئين: فصل وباعد بينهما (ابن منظور، ٢٠١٦)، لقد كان التفريق هو ما يميز القول بالدهر في مجمل المعاني التي تطرق لها الشاعر في ديوانه، حيث تجلّى مع الصفات المتعددة التي أفردها له عبر صيغها التي تضم دوره في الكون، وفعله في الأحياء الذين يترصدهم، وأهواله، ومواقفه العسيرة، قال:

يا للمنايا، ويا للبين والحينِ، كل اجتماع، من الدنيا، إلى بينِ
يبلي الزمان حديثا بعد بهجته، والدهر يقطع ما بين الفريبينِ
لقد رأيت يد الدنيا مفرقة، لا تأمنن يد الدنيا على اثنين

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

ج. له عثار

عَثَر يعثُر ويعثِر: زلّ وكبا (ابن منظور، ٢٠١٦)، وقد وردت هذه الإشارة في ديوان أبي العتاهية لكشف مّا يتصف به الدهر بالتعالق مع البشر، وما يستدعيه من مصائب ومواقف للإحالة على غدره، حقيقة أم مجازاً، بالتجاور مع معاني الأقدار والحوادث، ومنه قوله:

إن للدهر، فاعلمن، عثارا، فإلى كم، أما ترى الأقدارا؟
من رأى عبرة ففكر فيها، لم يزده التفكير إلا اعتبارا

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

د. المكر

مَكَر يمكُر مكْرا: خدع، فالمكر: الخداع وصرف الغير بحيلة عن مقصده (ابن منظور، ٢٠١٦)، والمكر هو فضاء لقيمة سلبية كبرى من سمات الدهر، وهي تضمّ في ديوان الشاعر إحالة فاعلة على الإنسان وتجاربه في الكون، ولكونها قيمة فهي لا تتبدى إلاّ بالفعل الحقيقي، الواقع بأشكاله المتعددة في الزمان، وكذلك في المكان، إذ تنتقل من التجريد إلى الحسّ التطبيقي، بما يتداعى منها على البشر بلا استثناء، قال:

ألا لا أرى للمرء أن يأمن الدهرا، فإن له، في طول مدته، مكرا
فكم من ملوك أمّلوا أن يخلدوا رأيت صروف الدهر تجزرهم جزرا
بليت بدار ما تقضّى همومها، فلست أرى إلا التوكل والصبرا

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

هـ. يخدع

خدَع يخدَع خدْعا وخدْعة وخَديعة وخِداعا، وخدعه: أراد به السوء والأذى من حيث لا يعلم (ابن منظور، ٢٠١٦)، لقد كانت دلالة الخداع، ومظاهره متلاحمة في نص الشاعر أبي العتاهية مع ذكره للحرص، والولع، والصنيعة، والراحة، بوصفها تجليات تعبر عن نموذج يضمّه الدهر بالتجاور مع تلك القيم التي يريد الشاعر لها البروز، ليحدد بها السمات الإنسانية التي يستدرج الدهر عبرها بني البشر ويخدعهم، ومنه قوله:

الشئ محروص عليه، إذا امتنع، ولقل ما يخلو هواه من الولعْ
والمرء متصل بخير صنيعه، وبشرّه، حتى يلاقي ما صنعْ
والدهر يخدع من يرى عن نفسه، إن ابن آدم يستريح إلى الخدعْ

(أبو العتاهية، ٢٠٠٣)

وبذلك فقد ورد القول بالدهر في ديوان الشاعر عبر دلالات متعددة، كشف بها عن تجلياته، ومظاهره، وفعله في الأحياء على اختلاف مشاربهم، وعبر صيغ وأساليب متنوعة، تضمنت رؤيته ووعيه.

الخاتمة

توصل البحث إلى عدة النتائج :

١. جاء تعبير الشاعر عن تجلي الدهر بالشدة والرخاء بوساطة أفعاله، وما يضمه من تداعيات على بني البشر، بالإحالة على حالاته المختلفة، وأحواله المتناقضة، أو عبر التضاد، أو بيان مظاهر نكباته، أو المعنى الباطني الكامن في مداه للشدة والرخاء، واستمراره بالأخذ والعطاء بين البشر.

٢. ورد مفهوم تقلب الدهر في شعر أبي العتاهية عبر استعمال الشاعر للاستفهام الإنكاري، ومفاهيم: الديمومة، والتضاد، والسرعة.

٣. في جانب الموت وتعالقه مع سيروة الدهر أظهر الشاعر مداه الذي يضم البشر على اختلافهم، مع استحضار المفردات الدالة ومنها الثكل، أو تنقل الأيام، أو الصيرورة، أو الغرور، وعدم البقاء، أو طمع العيش، أو القبور ، أو الفرقة، أو الزوال، أو الخطوب، أو الفناء، وغيرها من المفردات الدالة.

٤. ورد مفهوم تصاريف الدهر في شعر الشاعر متلاحما مع القول بالقضاء، والعثرة، ومخاتلة المنايا، والغرور، وحال الغفلة، وغيرها من المعاني؛ للتعبير عن هذا المدى وما يستدعيه من مظاهر.

٥. قدم الشاعر في ذكره للوعد والوعيد محالاً على الدهر دلالات بيّن فيها ما يستثيره من نوائب، متعالقة مع معاني: البلى، والنقص، مشخصا وواعظا، وكاشفا ومحذرا عبر دلالات تفتض هذا المدى وتجهر بملامحه.

٦. نبه الشاعر باستحضاره لمفهوم ريب الدهر وما يضمه من مصائب عبر أسلوب التوكيد، والأمر، والاستفهام، والتضاد، أو القول بالفراق، أو السلم والمراغمة، والفناء، أو مفهوم التعجب، أو الاحالة على بعض الأفعال الدالة.

٧. شملت قصائد أبي العتاهية بالإحالة على أحوال الدهر موضوعات متعددة أخرى في أفق التعريف بصفاته، منها أنه يغر، ويفرق، وله عثار، ويمكر، ويخدع؛ للدلالة على تجلياته، وصعابه ومصائبه، وما يتداعى منها بوصفها مظاهر أزلية متتابعة للدهر حتى قيام الساعة.

شكر وتقدير

تزجي المؤلفة خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في هذه الدراسة إثراء لساحة البحث العلمي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

إقرار المصالح

تؤكد المؤلفة عدم وجود أي تضارب في المصالح.

المصادر والمراجع

إبراهيم، ز .(١٩٧١) .*الحرية الحرية* (ط. ٧). مصر: دار مصر للتطبيقة.

ابن منظور، م. م .(٢٠١٦) .*لسان العرب* (ط. دار المعرف، ص. ٥٥٠٦٦). دار المعرف.

أبو العتاهية .(٢٠٠٣) .*ديوان أبي العتاهية* (ط. ١). بيروت: دار صادر.

الجهاد، هـ .(٢٠٠٧) .*جماليات الشعر العربي: دراسة في فلسفة الجمال في الشعر العربي الجاهلي* (ط. ١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الحاج، ح .(١٩٩٩) .*شعر الملموس: الحقيقة والأشياء .مجلة الأدب*، مج. ١، ع. ٢، شباط.

الدش، م .(٢٠٢١) .*أبو العتاهية: حياته وشعره* .القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

الدوش، م. م .(٢٠٢٢) .*أبو العتاهية: حياته وشعره* .القاهرة: دار الكاتب.

درويشة، ص. أ. أ .(٢٠١٠) .*علم كتب الحديث* .الأردن.

الزاوي، ط. أ .(٢٠٢٠) .*ترتيب القاموس المحيط* (ط. ٣). بيروت: دار الفكر.

الزيات، أ. ح .(٢٠٢٠) .*تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا* .مطبعة وزارة التربية والتعليم.

الشايب، أ .(٢٠١٨) .*أصول النقد الأدبي* .القاهرة: مكتبة الهندية العصرية.

الهاشمي، أ .(١٩٩٩) .*جواهر الأدب* .بيروت: دار الكتب العلمية.

حليفة، م. م .(٢٠١٨) .*الأدب والنصوص في العصر الجاهلي وصدر الإسلام* .القاهرة: دار العلم.

ضيف، ش .(٢٠١٩) .*الفن ومذاهبه في الشعر العربي* .مصر: دار المعارف.